الايام الاولى لثورة ١٤ تموز

هكذا تشكلت حكومة الثورة

السرية والمفاجأة والمباغتة كانت اهم ما استخدمه قائد الثورة الزعيم الركن عبدالكريم قاسم وزميله العقيد الركن عبدالسلام محمد عارف والعقيد الركن عبداللطيف الدراجي، فلم يبلغوا سوى عدد لا يتجاوز اصابع اليد في موعد تنفيذ الثورة، وهكذا سمع اعضاء اللجنة العليا للضباط الاحرار بالثورة من الراديو، وهو الاسلوب نفسه الذي استخدم في التعيين للمناصب الرفيعة سواء مجلس السيادة او مجلس الوزراء، فحتى ناجي طالب نائب رئيس اللجنة العليا لتنظيم الضباط الاحرار سمع بتعيينه وزيراً من الراديو صبيحة يوم الثورة (١٤ تموز ١٩٥٨)، واكد لي (انا كاتب المقالة) في لقاء معه ان عبدالكريم قاسم وعبد السلام عارف انفردا في تشكيل وزارة الثورة الاولى، حتى ان بعض الوزراء لايعرف احدهم الاخر، ويبرر طالب هذا الاسلوب، بالخوف من انكشاف امر الثورة للسلطة وبالتالي اجهاضها!! واضاف طالب قائلاً: (هناك شخصيات سياسية معروفة ولها وزنها على الساحة، اختار منها قاسم وعارف الوزارة).

العلاقة بين قيادة الثورة واحزاب المعارضة

والواقع انه كان لعبد الكريم قاسم علاقات ببعض احزاب المعارضة الوطنية المنضوية تحت راية جبهة الاتحاد الوطني، فكان لعبدالكريم قاسم اتصالات منذ عام ١٩٥٦ بالحزب الشيوعي العراقي والحزب الوطني الديمقراطي وحتى حزب الاستقلال عن طريق صديقيه (رشيد مطلك وكمال عمر نظمي)، الاول عينه قاسم مديراً للسياحة بعد الثورة، فيما كان الثاني ممثلاً عن الحزب الشيوعي في جبهة الاتحاد الوطني، فقد طلب الزعيم قاسم من الحزب الشيوعي رسم التدابير الخاصة بالشؤون الاقتصادية باعتبار ان هذا الموضوع (خارج اختصاص العسكر)، لكن عند قيام الثورة واعلان التشكيل الوزاري للثورة لم يكن لهذا الحزب وزير فيها، فهل كان تعيين الماركسي المعروف ابراهيم كبة والقريب من الشيوعيين كافياً لرسم السياسة الاقتصادية للبلاد، ويقال ان قيادة الثورة لم تشرك الحزب الشيوعي في الحكم، بداية الثورة، خشية من اتهام الثورة من قبل الدول الغربية ودول حلف بغداد بأن الثورة شيوعية، وبالتالي التدخل لاجهاضها. وخلال تحضيري لرسالتي للماجستير عام ١٩٧٥ قال لي كمال عمر نظمي انه التقى عبدالكريم قاسم يوم الخميس ١٠ تموز ١٩٥٨ وطلب منه عبدالكريم قاسم ابلاغ الحزب الشيوعي بموعد الثورة وطلب من الحزب دعم الثورة خاصة في الساعات والايام الاولى للثورة وهو ما تحقق له.

وذكر لي الدكتور ابراهيم كبة عندما التقيته عام ١٩٦٧ بانه سمع بتعيينه وزيراً للاقتصاد من الراديو صبيحة يوم الثورة، وانه التحق بمنصبه في اليوم التالي.

اما بالنسبة للحزبين (الوطني الديمقراطي والاستقلال) فقد اتصل بهما رشيد مطلك المرسل من قبل عبدالكريم قاسم، حيث اجتمع المطلك بكامل الجادرجي ومحمد حديد (عن الحزب الوطني الديمقراطي)، ومحمد صديق شنشل ومهدي كبة (عن حزب الاستقلال في ربيع العام ١٩٥٨ وذلك في زنزانة كامل الجادرجي في سجن بغداد، حيث كان الجادرجي يقضي محكوميته فيه، وازاء اصرار قيادة الضباط الاحرار بمشاركة هذين الحزبين في الحكم وافق الجادرجي بالمشاركة، حيث كان يرغب في ان تكون وزارة الثورة الاولى من العسكريين فقط حتى تستتب الامور، وهكذا حصل الزعيم قاسم على مشاركة هذين الحزبين في الحكم.

وكان عبدالكريم قاسم يتخوف من الامور المالية فطمأنه الحزب الوطني على ذلك، لذلك جاء ترشيح محمد حديد نائب رئيس هذا الحزب لوزارة المالية، وبهذا الصدد يشير عبدالكريم قاسم في تصريح له بشأن استقالة محمد حديد من وزارة المالية في ١٠ نيسان ١٩٦٠، قائلاً: (اننا نعرف الاستاذ محمد حديد قبل الثورة المظفرة بمدة سنتين، وقد اجرينا المداولة معه حول وضع الخطة المالية لحكومة الثورة، قبل قيامها لضمان الوضع الاقتصادي في البلاد)، من جانبه فان محمد حديد ذكر لـ (سام فول) القنصل الشرقي في السفارة البريطانية ببغداد يوم ١٦ تموز ١٩٥٨ انه علم بالثورة من المذياع، حيث كان في الموصل، وانه (واجه رئيس الوزراء عبد الكريم قاسم ونائبه عبدالسلام عارف لاول مرة في ١٥ تموز، ولم يكن يعلم اي نوع من الناس هما). لكن ذلك لم يمنع من معرفة حديد بالثورة واتصالات قيادتها بحزبه.

اما بالنسبة لهديب الحاج حمود فقد كان عبدالكريم قاسم يعرفه منذ عام ١٩٣١ عندما كان قاسم معلماً في مدينة الشامية، وهديب كان طالباً في الصف السادس الابتدائي ، وكان والده احد ابرز شيوخ العشائر في مدينة الشامية، لذا رشحه عبدالكريم قاسم وزيراً للزراعة في حكومة الثورة الاولى ولخبرته في قضايا الفلاحين والزراعة، اضافة الى كونه احد اقطاب الحزب الوطني الديمقراطي، لكن هديب كزميله محمد حديد لم يعلم باستيزاره وزيراً، بل سمع ذلك من الراديو صبيحة يوم ١٤ تموز ١٩٥٨.

اما حزب الاستقلال فقد مثله في حكومة الثورة السيد محمد مهدي كبة رئيس الحزب كعضو في مجلس السيادة، كذلك محمد صديق شنشل امين عام الحزب، وزيراً للارشاد، وفي مقابلة لي معه في العام ١٩٨٧ ذكر لي (شنشل) ان حزبه علم بموعد الثورة خلال اجتماع اللجنة العليا لجبهة الاتحاد الوطني يوم ١٢ تموز ١٩٥٨ من كمال عمر نظمي ممثل الحزب الشيوعي في الجبهة، لكن شنشل لم يكن يعلم انه سيكون وزيراً، بل سمع باستيزاره من الراديو صبيحة يوم الثورة ايضاً.

الزعيم مع اركان حكومته في مؤتمر صحفي

ويبدو ان ترشيح فؤاد الركابي ممثل حزب البعث وزيراً جاء من قبل العقيد عبدالسلام عارف صديقه وجاره ويلتقي معه بنفس التوجهات القومية والاسلامية، على الرغم من ان حازم جواد وشمس الدين كاظم (القياديين في هذا الحزب) ذكرا لي العام ١٩٧٧ ان مرشحيهما لحكومة الثورة كانا (فؤاد الركابي وشمس الدين كاظم) ولايعرفان السبب في استيزار فؤاد وزيراً للاعمار فقط، وقد وعد عبدالسلام عارف هذا الحزب بتلافي ذلك باقرب فرصة، وفي اول تعديل وزاري، لكن الامور، كما هو معلوم سارت باتجاه آخر.

اما مصطفى علي، الذي عين وزيراً للعدلية في حكومة الثورة الاولى، فهو من اصدقاء عبدالكريم قاسم واصدقاء عائلته، اذ كان والد عبدالكريم يعمل نجاراً مع والد مصطفى علي، وقبل الثورة كان مصطفى قاضياً في محكمة الاستئناف في بغداد، وكان اديباً، وهو لايعلم عن ترشيحه في الوزارة، حيث حدثنا قائلاً: انه واسرته خرجوا ليلة ١٤ ـ ١٣ تموز للتنزه في الحديقة التي تقع بين المقبرة الملكية ودار المعلمين الابتدائية في منطقة الاعظمية، ثم آوى الى بيته في منطقة السفينة، ليفاجأ في الصباح الباكر باحدى قريباته تطرق الباب طرقاً متواصلاً، وتنهي اليه نبأ اندلاع الثورة وتعينه وزيراً) واضاف مصطفى قائلاً لي: (توجهت في الحال الى الوزارة).

اما بالنسبة للدكتور عبدالجبار الجومرد، فهو اديب ومؤرخ ومختص بالقانون وذو توجهات قومية رشحه عبدالسلام محمد عارف، ويذكر الجومرد في مذكراته: (انه فوجيء بالامر حين اذيع خبر تعيينه وزيراً للخارجية) مؤكداً انه لم يكن يعلم بالثورة، ولم يفاتحه احد، ولايعرف من قام بالثورة، وقال: (ان في الامر حيرة مابعدها حيرة، لقد اصبح الامر في نظري واقعياً وواجباً وطنياً، يجب ان اقوم به).

اما الدكتور جابر عمر، الذي عين وزيراً للتربية والتعليم، فقد رشحه عبدالسلام محمد عارف بتاييد من العقيد الركن عبداللطيف الدراجي، وقد فوجيء ايضاً حين سمع بتعيينه وزيراً اذ يقول: (دهشت لاختياري، لاني لم اكن اعرف عبدالكريم ولاعبد السلام عارف، وفي اليوم التالي (اي يوم وصولي الى بغداد) ذهبت الى وزارة الدفاع، حيث كان هناك الاثنان في غرفة واحدة، ولم استطع ان اعرف ايهما قاسم وايهما عارف).

كما ان وزارة الثورة ضمت وزيرين كرديين، هما: بابا علي الشيخ محمود الحفيد، وقد عين وزيرا للمواصلات والاشغال، والثاني هو الدكتور محمد صالح محمود وزير الصحة، وقد رشحه العقيد الركن عبداللطيف الدراجي، وكان محمد صالح طبيبا عسكريا متقاعدا، وهو ابن خالة الدراجي واخو زوجته.

التشكيلة الوزارية

وهكذا اعلن عن تشكيل وزارة الثورة الاولى صبيحة يوم الثورة من راديو بغداد، وعلى النحو الاتي:

١- الزعيم الركن عبدالكريم قاسم... رئيسا للوزراء ووزيرا للدفاع وكالة.
٢- العقيد الركن عبدالسلام محمد عارف.. نائبا لرئيس الوزراء ووزيرا للداخلية.
٣- العقيد الركن ناجي طالب.. وزيرا للشؤون الاجتماعية.
٤- محمد حديد.. وزيرا للمالية.
٥- هديب الحاج حمود.. وزيرا للزراعة.
٦- محمد صديق شنشل.. وزيرا للارشاد.
٧- فؤاد الركابي.. وزيرا للاعمار.
٨- ابراهيم كبة.. وزيرا للاقتصاد.
٩- عبدالجبار الجومرد.. وزيرا للخارجية.
١٠- جابر عمر.. وزيرا للتربية والتعليم.
١١- مصطفى علي.. وزيرا للعدلية.
١٢- الدكتور محمد صالح محمود.. وزيراً للصحة.
١٣- بابا علي الشيخ محمود.. وزيرا للاشغال والمواصلات.

يبدو من تركيبة الوزارة انها كانت شبه ائتلافية مثلت معظم الاحزاب المشاركة في جبهة الاتحاد الوطني وعدداً من الشخصيات الوطنية المعروفة المستقلة، اضافة الى مشاركة ثلاثة من تنظيمات الضباط الاحرار، كما اخذ بنظر الاعتبار مشاركة الاكراد في تلك الوزارة، مع ذلك فقد لعبت العلاقات الشخصية بين الضباط الاحرار وزعماء الاحزاب السياسية دورها في وضع الاسس التي تم بموجبها تاليف الوزارة، اذ ان اللجنة العليا لتنظيم الضباط الاحرار كانت قد ناقشت في بعض اجتماعاتها الصورة التي يجب ان تكون عليها حكومة الثورة دون التوصل الى اتفاق بشأن المرشحين للوزارة، ويبدو ان علاقات عبدالكريم قاسم مع اطراف الحركة الوطنية مكنته من تكوين فكرة عن تشكيلة الوزارة، ولما اقترب موعد تنفيذ الثورة، وضع قائمة بالاسماء يوم ١١ تموز استشار فيها كلاً من عبدالسلام محمد عارف وعبداللطيف الدراجي، وبهذا الصدد يذكر الدكتور فاضل حسين في كتابه (سقوط الحكم الملكي): يذكر عبداللطيف الدراجي ان قائمة اسماء الوزارة الاولى كانت تضم فائق السامرائي (احد قياديي حزب الاستقلال) وزيراً للداخلية، وكامل الجادرجي (رئيس الحزب الوطني الديمقراطي) وزيرا للاقتصاد، وقد فوتح الاخير بذلك فعلا في ١١ تموز لكنه اعتذر، فاقترح عبداللطيف الدراجي ترشيح ابراهيم كبة بدلا عنه) بينما هناك معلومات تشير الى ان ابراهيم كبة كان مرشحا لوزارة الاقتصاد منذ نيسان ١٩٥٨ من خلال الاتصالات بين العقيد الركن عبدالوهاب الامين (احد اعضاء اللجنة العليا لتنظيم الضباط الاحرار)، اما بالنسبة لوزارة الداخلية فقد رغب عبدالسلام محمد عارف ان يكون وزيرا للداخلية فلم يمانع عبدالكريم قاسم بذلك، وبعد نجاح الثورة عين فائق السامرائي سفيرا للعراق في مصر، كما دعي العقيد الركن عبداللطيف الدراجي لتولي منصب وزير الدفاع، لكنه اعتذر مفضلا منصب آمر الكلية العسكرية، فتولى عبدالكريم قاسم وزارة الدفاع..

ظلت قائمة وزارة الثورة الاولى لدى عبدالكريم قاسم وكذلك بيانات الثورة من دون ان يطلع عليها احد، وسلمها ليلة الثورة الى العقيد الركن عبدالسلام محمد عارف ليذيعها بعد السيطرة على دار الاذاعة العراقية.. وهو ما تم فعلا.

البرنامج الوزاري

وهكذا فوجئ معظم الذين رشحوا بالوزارة بسماع اسمائهم من الراديو صبيحة يوم الثورة حتى انهم لم يحضروا الى وزارة الدفاع مقر رئيس الوزراء وقائد الثورة، ولما اراد عبدالكريم قاسم ان يعقد اجتماعا لمجلس الوزراء، اراد ان يبلغ الوزراء بموعد الاجتماع بواسطة الشرطة، الا ان محمد صديق شنشل وزير الارشاد حضر مقر وزارة الدفاع مع بعض وزراء جبهة الاتحاد الوطني واقترح عليه ان يتم تبليغهم عن طريق الاذاعة، وهو ما تم، والملاحظ على هذه الوزارة انها لم تضع منهاجا وزاريا او برامج محددة عن سياستها، لكن ممثلي الاحزاب في الوزارة سعوا لوضع برامجهم السياسية ومبادئهم المعلنة، وما يترشح عن اجتماعات مجلس الوزراء المستمرة يوميا موضع التطبيق في تحقيق العديد من المنجزات، لكن الطريق كان معبدا بالمصاعب والمؤامرات والتدخلات الدولية التي ما انفكت حتى قضت على الثورة.

آخر خطاب للزعيم عبد الكريم قاسم

(وثيقة تأريخية)

محمود البياتي

في مجلة " الهدف " (العدد ٥٢٩) لسان حال الجبهة الشعبية لتحرر فلسطين، وكنت مراسلها من براغ عاصمة تشيكوسلوفاكيا، نشرتُ في ١٤ آذار ١٩٨١، تحت عنوان " وثيقة تاريخية "، آخر خطاب للزعيم عبد الكريم قاسم، الذي قُتل سنة ١٩٦٣، في انقلاب خططت له اميركا وبريطانيا، ونفذه حزب البعث العربي الأشتراكي- قطر العراق. مُنع هذا العدد من دخول سوريا كما ابلغني لاحقاً رئيس التحرير الصديق بسام ابو شريف.

هذه هي مقدمة الخطاب عند نشره في مجلة " الهدف ":

فيما يلي تنشر " الهدف " وثيقة تاريخية عمرها ١٨ سنة، لم يطلع عليها بعد شعبنا في العراق والوطن العربي... انها النص الحرفي لخطاب سجله عبد الكريم قاسم بصوته في مقره بوزارة الدفاع واستولى عليه الانقلابيون قبل اذاعته صبيحة الثامن من شباط الاسود.

ملاحظة: سنضع ثلاث نقاط متتالية بين قوسين (...) بدلاً من كل كلمة غير مفهومة وردت في خطاب قاسم، وسنضع علامة اشارة الى اصوات القصف المدفعي وغارات سلاح الطيران على وزارة الدفاع والمسموعة بوضوح في التسجيل. يبدأ قاسم الخطاب بحدة وعصبية:

❖ *شغل الاستاذ عبد الستار الدوري، سفير العراق السابق والمنضم حاليا للمعارضة منصب مدير الاذاعة في انقلاب ١٩٦٣، ولا شك انه مطلع على تفاصيل كثيرة تتعلق خصوصاً بمحاكمة عبد الكريم قاسم الصورية، مع رئيس محكمة الشعب فاضل المهداوي، في الاذاعة التي تحولت الى مقر لقادة الانقلاب، فضلاً عن معرفته بهوية الضابط الذي حمل كاسيت خطاب قاسم او سلمه طوعا الى المتامرين كما يؤكد البعض. م أ*

"بيان من الزعيم عبد الكريم قاسم الى ابناء الشعب الكرام والى ابناء الجيش المظفر... ان اذناب الاستعمار وبعض الخونة والغادرين والمستبدين الذين يحركهم الاستعمار لتحطيم جمهوريتنا... الذين يحاربوننا بحركات طائشة للنيل من جمهوريتنا ولتحطيم كيانها ان الجمهورية العراقية الخالدة وليدة ثورة ١٤ تموز الخالدة لا تقهر... وانها تسحق الاستعمار، وتسحق كل عميل خائن انما نحن نعمل في سبيل الشعب وفي سبيل الفقراء بصورة خاصة وتقوية كيان البلاد فنحن لا نقهر، وان الله معنا. ابناء الجيش المظفر، والقطعات والوحدات والكتائب والافراد، ايها الجنود الغيارى، مزقوا الخونة اقتلوهم، اسحقوهم، انهم يتامرون على جمهوريتنا ليحطموا مكاسب ثورتنا، هذه الثورة التي حطمت الاستعمار وانطلقت في طريق الحرية والنصر، وانما النصر من عند الله وان الله معنا... كونوا اشداء، اسحقوا الخونة والظالمين... هاجموهم في كل منعطف، وفي كل زاوية... انهم خونة... انهم اذناب الاستعمار... والله ينصرنا على الاستعمار وعلى اذنابه واعوانه ".

(بعد فترة وجيزة يتوقف في خلالها التسجيل نسمع دوي القصف المدفعي مرة اخرى ثم يستانف الزعيم خطابه بنبرة اهدا لكنها تحتد تدريجيا):

" السلام عليكم ابناء الجيش... ايها الضباط ايها الجنود، ايها الضباط الصف الاشاوس، ايها العمال الغيارى... ان الاستعمار يحاول ان يسخر نفراً من اذنابه للقضاء على جمهوريتنا لمنه (...) بتصميمنا وبتصميم الشعب المظفر... فاننا نحن، جنود، وشعب ١٤ تموز الخالد الذي وجه الضربات الخاطفة الى العهد المباد رغم (...) (...)، رغم الاستعمار، وحرر امتنا واسترد لها كرامتها... فان هذا اليوم المجيد (...) لسحق الخونة والغادرين... ابناء الشعب، ابناء الجيش المظفر. ان النصر امامنا واننا صممنا على سحق الاستعمار واعوانه فلا (...) الى الخونة والغادرين، فان الله معكم، وسوف (...) الظالمون والغادرون والسفاكون واذناب الاستعمار سوف (...) عندما توجه لهم الضربات الخاطفة، وقد باشرنا بتوجيهها اليهم... والله ينصركم وينصر جمهوريتنا... ابناء الجيش الغيارى، ايها الجنود ايها الضباط اسحقوا الخونة والغادرين الذين تامروا على جمهوريتنا، اسحقوهم مزقوهم... انا الزعيم عبد الكريم قاسم (...) واننا اقوى، وامضى، واشد عزما وكفاحا في سبيل الفقراء والنصر للشعب العراقي المظفر والنصر لكم ايها الغيارى ".